سيمياء المكان في شعر عثمان لوصيف

الأستاذ: محمد الصالح خرفي
قسم اللغة العربية
كلية الآداب ــ جامعة بجاية

مقدمة:

لقد ارتبط الشاعر العربي مند القديم الى اليوم بالمكان الذي ولد فيه وعاش به فشده الحنين اليه، فتغنى به و ذكره في شعره، كما ارتبط بمكان آخر هو موطن الحبيبة الذي قد يكون موطنه أيضا. لأنه غالبا ما تكون الحبيبة ابنة العم، أو الجارة، وقد يكون هذا المكان بعيد عنه جغرافيا، لكنه قريب منه وجدانيا. وهذا الارتباط الوجداني و الالتقاء الروحي بينه و بين المكان حقيقة لا يمكن لأي إنسان انكارها. فقد قال معشوق لعاشق "أيها الفتى أنت رأيت في غربتك مدنا كثيرة، فخبرني أية مدينة من هذه أطيب؟ فأجاب: تلك المدينة التي فيها من اختطفت قلبي" (جلال الدين الرومي)

ومأثور الشعر العربي من امرئ القيس الى اليوم، طافح بتلك الاشارات إلى تلك الأمكنة التي ارتبط بها الشاعر لسبب من الأسباب؛ فسحر المكان له وقعه الخاص على الرجل والمرأة، على الرغم من وجود تفاوت بين الرجال أنفسهم أو بين النساء أنفسهن. فمع تقدم الزمن و التطور الحاصل و الدخول في علاقات انسانية و اجتماعية أكثر تعقيدا من ذي قبل ، و انفتاح الشاعر العربي على عوالم متعددة و متداخلة أحيانا ودفاعه عن قضايا الانسان ــ في أي مكان ــ و نضاله من أجل الحرية ــ بكل مستوياتها ــ تشابكت الأمكنة عنده ، و لم يصبح الحديث عن الوطن الذاتي و مسقط الرأس همـــــا وحيدا له، بل تعداه الى أوطان أخرى، متجاوزا المجال القطري ليشمل قضايا أعم بأسلوب متميز. فالشعر الإنساني يكون أكثر عمقا و تأثيرا عندما لا يرتبط بالمجال القطري الضـــيق أو يكون مرتبطا بمكان أو مناسبة ــ بالرغم من انطلاقه منها ــ و يكون موجها للإنسان في أي مكان أو زمان بشرط أن يجمع بين سمو الفكرة و روعة الصياغة ، أي أن يكون نصا نموذجيا. ومن خلال تأثيره في القارئ تبرز فاعليته ، فالشاعر العربي المعاصر قدم انجازا ضخما تمثل في وعيه بزمانه ومكانه وعودته الى أصله. المكان في الشعر

الجزائري المعاصر: حفل المتن الشعري الجزائري المعاصر بتوظيف متعدد و متنوع للمكان، تفاوت من شاعر إلى أخر و من مرحلة إلى أخرى، ولم نشهد تكثيفا متميزا إلا عند الشاعر عثمان لوصيف ــ الذي سوف يكون موضوع هذه المداخلة ــ عبر مراحله المختلفة. وقد تميز استخدام المكان في نصوص الشعراء الجزائرين ــ في أغلبه ــ بالذكر الجغرافي لأسماء الأمكنة دون التفاعل معها أو تحويلها إلى رموز، و قد رصد الدكتور عز الدين المناصرة ثلاث طرق للتعامل مع المكان :

1 ــ الطريقة الالصاقية (ذكر أسماء الأمكنة)

2 ــ الطريقة السياحية (التعامل الخارجي مع مظهر المكان)

3ــ الطريقة النقدية (الانصهار في دم النص و إعطائه صفات جديدة)[1] وعلى الناقد أن يكشف طريقة توظيف الشاعر للمكان في النص الشعري، و هل تـم ذلك بطريقة شعرية، أم تم ذكر المكان كمادة خام في النص ؟ فشعرية النص لا تقاس بمدى ورود الأمكـنة في النص وذكر هندستها، وتواريخها، و إنما تقاس بطريقة التعامل معها داخل النص، وتوظيفها في البنية العامة له بوعي فني متميز يعيد صياغة الأشياء و ترتيبها ترتيبا محكما. و قد ارتبط العديد من الشعراء الجزائرين بأمكنة معينة، هي الأمكنة التي يسكنونها أو ولدوا فيها، فمارس المكان سلطته عليهم و كان من المفروض أن يكون العكس ــ أي أن يمارس الشاعر سلطته على المكان ــ و من النماذج المكانية التي مارست سلطتها على الشعراء نجد سرتا عند الشاعر نور الدين درويش:

أهواك سرتا أجل أهواك ملء دمـــي ... لا ذلك البعد لا الترحال ينســـيني

أهواك جهرا أمام الـــناس أعلنها ... أهواك سرا أخاف الـغير يـغويني

البـــعد نار وما أدراك ما ألـمي ... البوح يقتلني حينـــا و يحييني

أنـــت الحبيبة أنت الكل معـترفا ... بالذنب عدت وقد فاضت براكـيني

أهواك مالي سواك الآن ينـــقدني ... ردي إلي القلب دفء الحب رديني

ضيعت أغلى سنين العـــمر معـتربا ... وتهـت في دربي المشؤوم دلـيني[2]

ومدينة سكيكدة عند الشاعر إدريس بوذيبة:

سكيكدة...

من سنتين

غريب ببابك أعرى

أتأذنين لي بالإقامة؟

أتأذنين لي بالرحيل؟

أتأذنين لي أن أموت

.....

لأعرف شكلك أكثر..

لأعرف حبك أكثر..

لأن أتغير

فعشقك فوق احتمال التكتم

و فوق ا حتمال الألم.[3]

و هيبون (عنابة) عند الشاغر عبد الحميد شكيل:

هيبون..هيبون..هيبون

يانفحة الوجد

ياخفقة الوجد

يا أغنية الرياح

كيف أسكن قلبك الحرير

ياابنة التاريخ ياتنفس الغدير

كيف اجلو عن مرآتك الغبار؟

وأنت صبية عصية المنال

يا وردة مغروزة في عروة الزمان

يود الريح لو يسكن فجاجك القصية

تود العذارى: لو تكوني في عرسها هدية

.....

تحية الشوق العابق

يا مدينة الأزهار و الورد و المطر[4]

وتيزي راشد عند الشاعر عمر أزراج:

دخلت إلى حوضها دهشة محرقة

على كتفي قبرات القرى ، والحقيقة مثقلة بالأغاني الجريحة

تساءلت: فارتد صوتي غريبا بدون عبون

على النفس ، أبصرت أمس الطفولة أسود أسود

ولكني جئت عينيك ، بيتي

.....

فيا زهرة نابتة

على ساحل الحلم فلترحلي داخلي

لنحلم..نحلم.تيزي رشيد.[5]

والحقيقة أن أزراج حاول جاهدا " أن يصنع من قريته الريفية تيزي راشد رمزا كبيرا على نحو ما صنع السياب أيضا بقريته جيكور ، فيطنب في التعبير عن مشاعره نحوها و يكثر من ترديدها في شعره لكن دون أن يصنع من اسمها رمزا فنيا ، لأن أزراج سلكها في قناة شاعر أخر و يمتاح من بئره أيضا ، وهو ما لا يطور تجربته بحال فضلا عن تقديم رمز جـــــديد ، و آية ذلك ان الشاعر أزراج حين يذكر قريته لا يجعلنا نحس بوجود الملامح الأصلية فيها و لكنه يذكرها في صورة مموهة " [6]

و كذلك مدينة بسكرة عند الشاعر ميلود خيزار:

بسكرة

طفلة في العراء

طفلة من ضياء

و نوا فير من عسل

غير أن العباب

و النفاق..و بعض الكلاب
نهبوا الزرع و الضرع..والشجر
و غزتها اللحى
وأباطرة النهب و العصبة القذرة
كم أنا ضائع بين عينيك
والمجزرة
آه أيتها الجوهرة !
آه يا بسكرة ![7]

لكن بسكرة عند الشاعر يوسف وغليسي الذي هو من مدينة سكيكدة تتحول إلى رمز ، وإلى ملجأ ، أو بالأحرى إلى المدينة البديل لمدينة قسنطينة التي درس بها ويشتغل حاليا بها:

إنني طائر مثقل بالنوى ،،
طائر بالهجير اكتوى ،،
راحل مع طيور المنى ،،
لأهرب حبي إلى مدن لا تبيح دم العاشقين !
إنني يوسف قادم أتأبط عار العزيز وذكرى أبي..
قادم والخطيئة تهصل في الروح..تغتالني..
قادم من سعير الخروب إلى زمزم الصالحين ،
لكي أتطهر من كيد زليخه !..
قادم من أقاصي المدينه
فاحضنيني أيا بسكره
دثريني بسعف النخيل أيا بسكره !
ماأطول عمري ! ما أقصره !
ما أضيق قلبي !
ما أوسع الجرح يا بسكره !..[8]

فمن قسنطينة الجرح إلى مدينة الصالحين و الطهر كانت رحلته ، عله ينسي لبعض الوقت، لكن قسنطينة في القلب دائما وهي الملاذ الطبيعي و الفضاء الحنيني ، فلو خير بينها و بين المدينة التي ولد فيها لاختارها. لكن مفهومه للمكان يختلف عن مفاهيم الشعراء السابقين " بين الوديات أو قسنطينة أو نيويورك أو موسكو و ما مشاكلها من الأوطان المادية المغرقة تكاد تستوي أمام الإنسان الشاعر وخاصة إذا كان مسكونا بروح صوفية. وطن الشاعر هو تلك اليوتوبيا التي يرسم تضاريسها بتشكيلاته اللغوية ويطرزها بأحلامه الغائرة في الزمان و المكان ، و طن الشاعر يتجاوز التاريخ والجغرافيا إلى فضاءات زمانية خاطفة كالبرق"[9]

فالمكان عند الشاعر المتميز لا يرتبط بمسقط الرأس أو مقر العمل، بل هو أشمل و يرتبط بالتجربة الشعورية للشاعر. و هي التي تجعله يذكر هذا المكان و يتفاعل مـــــعه ويبثه أشجانه ، في حوار شعري ينفذ إلى أعماق القارئ. أو تجعله يعرض عن هذا المكان وإن كان موطن الولادة. و من الأمكنة الجزائرية التي تحولت إلى رمز فني و شغلت مساحة كبيرة في شعرنا الجزائري بل الشعر العربي ككل، نجد الأوراس ، فأنا "لا أعرف أماكن قيل فيها الشعر بصورة شاملة و غزيرة مثلما رأيت هذا في قصائد الشعراء العرب في الأوراس ، فقد احتفلوا به و أولوه اهتماما خاصا، و كان الدافع إلى تفجير قرائحهم بقصائد عبرت عن وجـــــدان و حس و شعور جارف و حب لثورة نوفمبر والأوراس، وليس في هذا ما يدعو إلى الغرابة ، فالشعراء يحلمون دائما بانتصار الحرية و بمستقبل الإنسان. وقد حقق لهم هذا الحلم نضال الشعب و نضال الطبيعة معه في الأوراس."[10] وحتى يصل الشاعر الماضي بالحاضر ليبني طريق المستقبل يصبح الأوراس هو الأمل في البعث الجديد و التغيير المنتظر غدا مثلما كان بالأمس:

قم من على الأجداث ألوية و قم
من فورة البركان مما يفرخ الحزن المقيت من العدم
قم من على الأصوات كاللغة التي لم تستقم
.....
قم

من فرحة الأحداق من أوجاعنا
ميقات يوم يحتسب
النور أنت و أنت صورتنا
لا شيء يرجع ما ذهب
أنت الوجود و ما تبقى للوطن.(11)

لأن الأوراس قد خبت جذوته عند الجيل الجديد في الجزائر، بل وعند من كان يتخذه رمزا للمقاومة و انطلق منه لتحرير الجزائر ، فالأوراس أصبح مثل أي مكان أخر لا بحرك فينا شيئا:

فهل صار أوراس.. يا سيدي قطعة من رخام..
نحنطها..في رفوف المتاحف ؟!..
و هل صار أوراس..يا سيدي..قبلة في الظلام
نوقعها فوق خد الشهيد لكي لا تطاردنا لعنات الطوائف ؟!
لقد أورق الحزن فينا طويلا
و لم نعترض بعد..هذى السلاحف !
فكن يا صديقي رذاذا
سنجمعه من غبار القذائف..
...
تكلم..و قل كيف كانت بلادي..
حقولا من الأقحوان
و أنهار شهد ،
وبستان حب ،
و كانت تحب الجلوس مع الكادحين
و تحفظ أسماء كل الرجال
و أسماء كل النساء
و تحكي الأقاصيص حتى ينام الصغار

لقد كان بيتي..بهذا المكان
وكانت بلادي..بهذا المكان
و كنا نعيش في آمان.[12]

ونجد التميز و الخروج من سيطرة سلطة المكان عند زمرة من الشعراء الذين خرجوا عن الإطار الوطني الضيق إلى إطار أوسع كافر يقيا مثلا ، التي نجد من بين الإشارات الرائعة لها في الشعر الجزائري المعاصر ، قصيدة افر يقيا للشاعر أبى القاسم خمار، الذي ربط بين الثورة الجزائرية التي تمثل بداية النهاية، للاستدمار، والثورة الإفريقية التي سوف تحرر الشعوب :

افر يقيا افر يقيا
تحركي ، تمردي
ثوري على افر يقيا
ثوري على النسيان
واحرقي جحافل الجرذ ان
لا يقلع الوباء من جذوره
إلا مع الفوؤس و النيران
تمردي..و وحدي
في روحنا الإيمان و الأحزان
فأنت يا افر يقيا
أقوى من الخصوم و الطغيان
أقوى من الزمان
تمردي و وحدي
في أرضنا الانسان.[13]

فلن يقف اللون أو اللغة حائلا أمام تفاعل الشاعر مع قضايا إفريقيا ، و هذا دليل على تمسك الشاعر بالقضية الإفريقية و حبه لها و افتخاره بالانتماء إليها وارتبـــاطه بالمكان.

وإن لم يكرس دواوين بعينها لها مثلما فعل الشاعر محمد الفيتو ري "في عاشق من افريقيا واذكريني يا افريقيا و أحزان افريقيا "

ومثل أبى القاسم خمار كان الشاعر مصطفى محمد الغماري الذي " ينطلق من الوطن الجغرافي الضيق ليعانق الوطن العقائدي الواسع الذي يستمد جوهر وجوده من الإسلام ولذلك فهو يكشف في قصائده عن هذا الجوهر باستمرار و يحاول أن يربطه بالإبداع "[14] فالوطن عند الغماري ليس مساحة جغرافية ترفع عليها الشعارات و توقع الأوراق باسمها، بل الوطن لا يرتبط بمكان واحد و هو وطن الجميع ، و قد كانت القدس المغتصبة هي المكان النواة التي أحبها الشاعر ودافع عنها دون زيارتها أو العيش فيها، لكن بحكم الانتماء العقائدي فقد أحبها و دافع عنها و القدس هي المكان الذي تحول إلى رمز ديني ارتبطنا به ماضيا و حاضرا و هي معنا إلى أن يرث الله الأرض و من عليها . فالخلفية التي جعلت هذه المدينة مهيمنة على شعره و معها مدن أخرى تتشابه في الهم، هي خلفية دينية بحته، ولقد ولدت لديه الحسرة لأن الحكام العرب لم يقدموا أي شيء واكتفوا ببيانات التنديد و الاستنكار، بل باعوا ما تبقى لنا و ما تبقى لهم:

من باع وجه القدس قبل سقوطه
ومن الهزيمة فيئه المدرار!

تركوك يامسرى النبي معفرا وتخايلوا.. لـو تخجل الأعمـار!
وجثوا على مبكى العروبة خشعا وبكـل أسـرار البلاغـة ثـاروا !
تركـوك مـأوى للذئـاب ومـوئلا للمتـرفيـن وربـك الـغـفـار!
و تعهـرت كلمـاتهم و تخـثرت نظراتـهم.. وقلـوبـهم أحـجار![15]

و يبقى الشاعر عز الد ين ميهوبي الذي سيطر على المكان ينتظر قدوم الفارس الذي سوف يخلص القدس مما فيه مثلما فعل عمر بن الخطاب رضي عنه في المـاضي، وعند ذاك يتحقق وعد الله:

تمر الليالي،، وتبقى المدينة تبكي تنادي الذين يموتون مثل الجراد،، تنادي،، و تغمض جفنا

و تبحث في الحلم عن حلم
مضغته البلاد ،،
......
و تصرخ كل المدينة ليلا
سأبقى هنا انتظر
قرونا ،، قرونا
سيأتي فارسي المنتظر ،،
مع الريح يأتي ،،
سيأتي كسيل مطر
يعانق أثواب هذا التراب المضمخ
بالأنبياء ،،
سيأتي ليزرع ألف قمر ،،[16]

و مثل القدس بيروت عند ميهوبي، فهي وطن الشاعر، و هنا يتجلى الارتباط المكاني للشاعر، الذي حول بيروت من مكان جامد إلى شاهد على الهزيمة و ما حل بنا من نكسات، و قد كانت الحرب الأهلية في لبنان هي المؤثر الذي حرك الشاعر و حسسته بالفاجعة:

بيروت ،، تكبر في أرواحنا وطنـــا   وإن تراءت علـــــى أجفاننا كـــفنا !
بيروت ، أنت وإن سافرت في سفن   من الضياع ،، فأنت الجرح أنت أنا
بيروت يا لغة ضيعت أحــــــرفها   كما تضـــــيع بدرب التيه أرجـــلنا !
فتشت عنك قرونا دون راحــــــلة   والريح تهزأ بي،، الكـــــل كان هنا
لم ألق غير قصيد رحت أسألــــه   بيروت أين؟ ليل الأطلال و الدمن !

....

بيروت أنت و إن سافرت في سفن   من الضياع فأنت الجرح أنت أنا !
فالنصر ثوب عزاء في مدينــــــــتنا   والموت صار قصيدا يطرب الأدنا !

و المجد أصبح أفراسا مطهمـــــة تشق درب غبار الخزي و الهونا !
و القدس لحـــن وفـــاء في محافلنـــا و الأرض كوم تـــراب كـــان واندفنا !
لا دمع يـــذرف يـــا بيروت في زمني فأنت أنت و إن بـــاعوك الـــو طنا ![17]

و تأتي فجيعة بغداد في التسعينيات، بعد نهاية الحرب الأهلية اللبنانية لتفتح الجرح الذي لم يندمل من جديد، و كأن قدر علينا تتهاوى مدننا تباعا، و يندمج الشاعر يوسف وغليسي في بغداد مستحضرا التاريخ و المجد الماضي، و حاضر الخيانة ، برؤية شعرية جعلت المكان ينصهر في لحمة النص ، و يدخل في تشكيله ، و يعطـــــيه أبعادا جمالية لم تكن لتتأتى لولا هذا الانصهار الذي كان بين النص المكان والشاعر:بيني و بين مدينتي بحر من المأساة و الذكرى و قلبي ــ آه من قلب ــ على شط الرحيل مضى
ينز دما و شعرا
آتيك يا بغداد من مدن الخيانة مطرقا
وعلى جبيني و صمة العار المشينة ، و اليدين
آتيك أسترق الخطى
آتيك أحمل سيفاج
و قصائدا لرثاء أمجاد الحسين على ضفاف الرافدين
بغداد يا ربعا يطوقني
فأوغل في السؤال:
هل في دمشق أو الرياض أو الرباط وشائج
...
وينفتح الفؤاد على نسمات الهوى
بغداد و الحلم المهشم في تلافيف الرؤى..
بغداد ! قد حط الغروب على مشارف حلمنا
لكنما بغداد كالعنقاء تبعث من هنا أو من هنا !..[18]

لقد تباينت ــ من خلال النماذج السابقة وغيرها ــ رؤية الشعراء في الجزائر إلىالمكان ، ما بين أسير للمكان ، وبين آسر للمكان ، و من ثم تباينت القيمة الفنية والجمالية لتلك النصوص و نظرة القراء و النقاد إليها.

و بعد الحديث عن جملة من الشعراء نفرد متبقي من هذه المداخلة للشاعر الجزائري عثمان لوصيف ابن هذه المدينة ـــ بسكرة ـــ.

سيمياء المكان في شعر عثمان لوصيف:

الديوان	القصيدة
الكتابة بالنار	إعلان عن هوية ، آه يا جراح ، الطوفان
شبق الياسمين	فلسطين ، باتنة ، كالبحر أنت ، الجبال ، الأوراسية.
اللؤلؤة	سطيف ، عرس البيضاء، ورقلة ، المشنقة، طولقة الشوارع ، الممرات، الأغواط البلبل، جفاف ، يا سمينة
أبجديات	الجلفة ، تيزي و زو.
زنجبيل	النيل، بين اثنين ،غروب ، الذرة ، القطن الشاعر والزورق ، الغاب ، مياه، تهويمة
غرداية	غرداية
براءة	وهران الصاعقة
الإرهاصات	المعبد ، باتنة ، الجنية الساحرة ، طولقة ، نشوة ، التحدي ، عروسين كنا ، وقفة أمام البحر.
أول الجنون	بجاية

كـــان حضـــور المكان عند الشاعر عثمان لوصيف حضورا متميزا إذ يمكن عده عنصرا مشتركا في جميع دواوينه وهذا الجدول يبين ذلك

فالمكان عند الشاعر عثمان لوصيف علامة محورية و منه تتفرع علامات أخرى: المكان المرأة ، المكان التاريخ ، المكان الحب ، المكان الحلم.

و إذا حاولنا إبراز موضوعة المكان الجغرافي عنده و تحديدها نجد محورين للمكان:

1 ــ المحور الأول هو المــكان الجزائري (الأوراس ، باتنة ، طولقة ، غرداية، وهران، ورقلة ، الأغواط ، سطيف ، الـــــجلفة ، تيزي وزو) فقد توزع المــكان بين الشرق والغرب والشمال و الجنوب، وهذا يحمل دلالات عديدة وهي أولا:انفتاح الشاعر على أمكنة جزائرية متعددة. ثانيا: الانتماء المتعدد لكل مكان في الجزائر.ثالثا: تحول المدينة إلى وطن كما في قصيدة غرداية. رابعا: تعدد أشكال المكان في بنية النص الشعري. خامسا: تداخل المــكان و النص والشاعر حيث يصبح المكان هو الشاعر في بنية لغوية.

2 ــ المحور الثاني هو المكان العربي (فلسطين ، القدس ، السودان) حيث تركز في قطرين اثنين هما: فلسطين (القدس) وما تحمله من دلالات دينية. و السودان الذي خصه بديوان شعري هو: زنجبيل. و قد جسد الشاعر التحام الدول العربية و العودة إلى موطن الفيتوري الذي حمل هموم إفريقيا. وسوف نقصر الحديث في هذه المداخلة عن المكان الجزائري و نترك تناول المكان العربي إلى مناسبة أخرى. و المكان الجزائري من حيث التحديد نوعين اثنين أيضا: مكان محدد (المدن). ومكان غير محدد (السماء ، الجبل، الغاب) حيث يمكن أن تكون في أي ولاية أو أي دولة.و إن أردنا التحديد و ربط الأشياء قلنا أنها في طولقة موطن الشاعر و مقر إقامته. أما البحر فهو بحر إحدى المدن الساحلية التي زارها .ف" النص أداة اتصالية لا تعبر عن صاحبها وتكشفه لنا فقط بل إنها تتدخل في تشكيل المتلقي، و من هنا فإن النص يصبح مما و خطيرا في الدرجة نفسها، و لكن لن نتمكن من ملامسة خطر النص و أهميته إلا من خلال تشريحه تشريحا نصوصيا بهدف فهمه أولا ثم تفسيره بعد ذلك."[19] فمن السماء إلى الأرض عبرالبحر كانت رحلة الشاعر عثمان لوصيف. وكل مكان يكشف لنا عن دخيلة من دواخله ورؤيته للحياة والكون.فالسماء كفضاء ومكان فيها أمل الشاعرإذ تتحول إلى إنسانة واعية فيناديها:

أين مني نجومك الخضراء
والنواقيس
و المدى
يا سماء
أين مني رذاذك البكر يهمي

بين عيني
حين يأتي المساء ؟ [20]
أما البحر فهو ملاذ الشاعر بعدما ضاقت الدنيا عليه:
واقف عند الشواطئ
في خشوع و سكينه
أبتني فيها مرافئ
و شراعا و سفينة
واقف ألهو بدمعي
إذ جرى من مقلتيا
ها أنا قد ساقني الوجد إليك
جئت لما ضاقت الأرض عليا
آوني أيها البحر لديك ! [21]

و لم يكن عثمان لوصيف يحمل مشاعر ابن خفاجة و لم يتكلم بلسانه و انما جاوزه في أن تمنى أن يكون جبلا :

جبل.. ليتني جبل من حجر
تعصف الريح لكنها تحت أقدامه تنكسر
ليتني صخرة تتسربل بالدهو في القمة الشاهقه
ليتني عاصف أو مطر
ليتني..ليتني كيمياء
تتسلق نار السماء
ثم تهبط كالصاعقة
في رفات البشر
جبل..ليتني جبل من حجر ![22]

فكل العناصـــر الثلاث (السماء ، البحر ، الجبل) تحمل دلالات متقاربة ، فهي رمز للوحدة و السكينة و الحب والود و الصفاء. لجأ إليها الشاعر مثل الرومانسين الأوائل الذين تتشكل عوالمهم من العناصر الطبيعية، و محاولة أنسنتها، و جعلها بدائل عن عالم

البشر المليء بالمتناقضات و الحقد و الشر... فهي عناصر إيجابية تحمل دلالات نفسية تمكننا من الاقتراب من عوالم الشاعر عثمان لوصيف. وتشكل مدينة طولقة "مدينة الشاعر" الانتماء، لكنها مدينة سلبية في رأي الشاعر ، فهـــي مدينة مجنونة ، و مقبرة...، وبالرغم من ذلك فهي قريبة منه لأن " علاقة الكاتب بمدينته ، بالمدينة الأولى علاقة خاصة استثنائية في آن واحد ، إذ مهما ابتعد لابد أن يعود إليها ، و هذه العودة تتمـــثل بأشكال عديدة إنها المنبع الذي يمتد في أعماقه و يمنحه باستمرار مادة للكتابـــة والذكرى، ويبدو أن المدينة الحلم كلما ابتعد جغرافيا كلما أصبحت أقرب إلى الكاتب "[23]

وقد كانت مدينة طولقة في ديوانه لؤلؤة عبر ثلاثة نصوص شعرية إحداها فقط حمل عنوان طولقة ، و النصين الآخرين بعنوان: ياسمينة ، و المشنقة ، و هاهي النصوص الثلاث في هذا الجدول:

يا سمينة ص 50	المشنقة ص52	*طولقة ص54*
طولقة ترحل بالعاشقين	طولقة !	مقبره
مجنونة	طولقه !	و زواحف تسحب أكفانه
تعانق الياسمين	حين غنيت للحب	و تدب إلى المقبرة
نخيلها ينسى عراجينه	أنكرني الأهل و الأصدقاء	و أنا المتوحد بالنار
و زميلها	و قال لي أبي هذه زندقة	و الجلنار
يبكي	و أنا صاعد في التراويح	تجرعت من سمها الوثني
على الظاعنين	نحوك أيتها المرأة	و لكنني الآن
و الزهرة البيضاء	المشنقة نحو عيني	ألعن صحرائها المقفره
ما ودعت	إن دمي يتدفق أدعية	مقبره
قلبا يفيض بالأسى والأنين	و يدي زنبقه	و زواحف تسحب أكفانها
طارت بها الريح	آه يا ربتي	و تدب إلى المقبره !
فلا نفحة	في جهنم أو في الندى !	04.11.1989
تحي بها	آه طولقه !	
حشاشة الميتين	آه طولقه	
1984	18.11.1989	

والنص الشعري الرابع الخاص بطولقة كان في ديوانه الإرهاصات، الذي جمع فيه قصائده الأولى، ويبدو الاختلاف واضحا بين هذا النص والنصوص السابقة. إذ ركز في هذا النص على المنحى الجمالي الطبيعي لطولقة بينما في النصوص الأولى تمثل حالة نفسية:

النخيل هنا كالعرائس في عيدها الذهبي و العراجين مثل الثريات أو كالحلي

والرمال التي خضتها الدموع الرمال التي قطرتها الشموع غاصت الروح في صهدها الدموي

و تهب النسائم بين السعف

فالمدى تتجاوب أصداؤه و الندى يند رف

والقلوب التي شرقت بالدموع

القلوب التي احترقت كالشموع

هزها الهوس البكر فهي متيمة ترتج

.....

و الدموع الهوا مي ... الدموع الدموع

أشعلت بالجوى جهشات الشموع

غير أنا نحبك أكثر حين يجن الغسق ! 24

ومن حيث التواتر تأتي مدينة باتنة بنصين شعريين ، بالعنوان نفسه "باتنة " (الأول نص من شعر التفعيلة في ديوان شبق الياسمين ص 109، والثاني نص عمودي في ديوان الإرهاصات ص32) و في ديوان لؤلؤة نصين اثنين يتعلقان بباتنة ، الأول بعنوان شوارع باتنة ص 55 والثاني بعنوان الممرات ص 59. و يبدو الشاعر عثمان لوصيف في الثانية أكثر شعرية ، لأن خطابه إليها مفعم بالحب و الحيوية ، اشتبك التاريخ العريق المورق مع حاضر الشاعر الجاف القاسي ، ليجد باتنة هي الملاذ، و الحصن المنيع الذي يحتمي به:

سألوني عن هوى باتـــنة قلت نار في ضلـوعي تسـتعر

هي في القلب وعينـاها على صفحـة الشـعر مـرايا وصور

.....

فاحضنيني إنني محتـــــرق وامسحي عن جبهتي ملح السفر!

فباتنة ليست تاريخا فقط بل هي اللحظة التي يرى الشاعر من خلالها هذا التاريخ ويحتمي به. ومن حيث الحجم نجد أكبر نص خص به المكان هو نص غرداية التي خصها الشاعر بديوان منفرد. و إذا أردنا التحديد أكثر أن المكان الجزائري من حيث الجغرافيا ينقسم إلى: أماكن ساحلية (بجاية، تيزي وزو، وهران) وأماكن داخلية (سطيف، باتنة) وأماكن صحراوية (الجلفة، ورقلة، الأغواط، غرداية ، طولقة) وهي مدن زارها الشاعر عثمان لوصيف وكتب نصوصا شعرية فيها في مدينة طولقة كما هو مثبت في الدواوين ما عدا قصيدة ورقلة فقد كتبها بالمدينة نفسها. و قد كتب الشاعر هذه النصوص المرتيطة بالمكان عبر فترات زمنية متباينة (من 1984 إلى 1996) ومن أوائل النصوص عن المكان الجزائري قصيدة بجاية (كما أخبرني بذلك الشاعر عثمان لوصيف في رسالة مؤرخة بتاريخ (18. ماي 2000) والتي ضمنها ديوانه " أول الجنون " ــ الذي لم يصدر بعد ــ وأخر قصيدة هي: تيزي وزو (20.10.1996) ومن ناحية الكم تراوحت النصوص المكانية بين الطول و القصر، وهذا الجدول يبين عدد المقاطع الشعرية الخاصة بكل نص مع الصفات المنسوبة لكل مدينة:

المدينة	*عدد المقاطع*	*تاريخ كتابتها*	*الصفات المنسوبة إليها*
الأغواط	01	01.05.1984	الحورية ، اللؤلؤة ، الدليلة ، الطبيبة ، السلسل الرقراق ، واحة العشاق.
ورقلة	01	03.03.1985	زهرة ، نخلة ، ينابيع ، غلال.
سطيف	01	06.11 1986	الغرام ، العروس.
وهران	10	02.93	سلة من نجوم ، أيقونة ، سنونة ، عنبرة ، أسطورة المحبة ، المحجة ، البريئة ، النقية ، البهية ، الحبيبة ، مرجانة ،مسكية الطل ، سوسنة ، جدول الأغنيات ، مهفهفة الخصلات ، سرير القرنفل ، نافورة المسك ، ترنيمة الليل ، سقسقة الشمس ، عربدة الناي ، الهوى ، الغوى ، سجادة الخز ، ربغوغة الخل ، الغرام ، قاهرة ، مروحة

			السرخس ، دندنة الله ، رفيف الجفون ، عرافة البحر ، هسهسة النهد ، تغتغة الخصر ، نعمة الماء ، خيمة.
غرداية	15	ربيع.95	سوف يكون الحديث عنها مفردا فيما يأتي
الجلفة	05	15.10.1996	رشة خضراء ، عروس ، جسم طفولي ، عذراء، بنت الكرام ، نجمة ، لؤلؤة ، هيفاء ، فتنة ، بنت الندى ، البدوية ، أستاذة الحب ، معبودتي.
تيزي وزو	03	20.10.1996	حورية ، عروس النجوم ، فيروز المساء ، زيزفون ، ياقوتة ، تاريخ معجزة ، سلسبيل الله ، زيتونة ، نور ، السر ، الكنز ، نهر من عسل ، غصن بلوري ، آنية من خزف ، وشي ، سجاجيد ، زهرة خوخ ، عروس ، نكهة رب البرقوق.

وتشترك هذه النصوص في أخذ ها صفات كثيرة تطلق على المرأة وعلى هذا تتحول المدينة الى امرأة (المدينة معادل موضوعي للمرأة) عند الشاعر عثمان لوصيف. كما أن مدينة وهران تنفرد عن بقية المدن الأخرى (بعد غرداية) في كثافة الصفات المنسوبة إليها، وهذا راجع إلى موقع المدينة في قلب الشاعر ، فكلما كانت القصيدة طويلة كانت الصفات كثيرة . و إذا عدنا إلى القصائد فإننا نجدها تتفاوت من الناحية الجمالية وسوف نقصر الحديث عن تلك المدن في إبراز شعرية خواتمها فخاتمة القصيدة هي أخر ما يتبقى في ذاكرة المتلقي

1 ــ الأغواط:

ها أندا أتم فيك رحلتي

و هاأنا أكمل فيك آيتي

و أختم فيك آخر الأشواط (لؤلؤة ص 65)

و لـــن نكمل مشوارنا إلا في المدينة التي نحب، فالأغواط القريبة نفسيا منه قريبة جغرافيا أيضا منه.

الأغواط = نهاية الرحلة

الأغواط= الآيةالكاملة

الأغواط = الشوط الأخير

2 ــ و رقلة:

دعيني أغني

لأعراسنا المقبله

آه..يا زهرتي !

آه..يا ورقله ! (اللؤلؤة ص 44)

ورقلة ثلاثية مركبة من :العرس و الغناء و الزهرة ، ربما غدا أو في المستقبل القريب.

3 ــ سطيف:

وجدتك بين يدي بثوب الزفاف

فأيقنت أن الغرام سطيف

ضممتك فانهمر الثلج

غنت عيونك

وابتدأ العرس

ثم ارتمينا على الريش ملتهبين

ونمنا هنالك تحت الندى شفه في شفه ! (اللؤلؤة ص 11)

الشاعر و العرس و العروس (سطيف) = الفرح الدائم لأن المكان يبعث البهجة في النفس فقد استحالت سطيف الى عروس في ليلة زفافها وكان اللقاء مع الشاعر.

4 ــ وهران:

يا يد الله..يا يدها

ضمدي جرحي النازف،

انبسطي..مسحي جبهتي

و أعيدي لعيني ذاك الشعاع الحلبي

و الأفق الرحب و الصحو و المرتقى

يا يد الله...يا يدها اللدنية (براءة ص 62)

وهران = الشفاء و الأمل في الحياة

5 ــ الجلفة:

ا...ل...ج

بعدها لا م...و فاء..ثم تاء

وخز الحلفاء و الشيح

سهوب و ثغاءات

سخاء البدو

شبابة راع يزرع الليل مرايا

قهوة...نجوى ...حكايا

و أريج امرأة وهاجة...

فاكهة العشاق في الجلفة جمر وشتاء (أبجديات ص 34)

المرأة حاضرة دائما في المكان عند الشاعر عثمان لوصيف، تتعدد الأمكنة لكن المرأة واحدة

6 ــ تيزي وزو:

تيزي وزو

قمم تتشامخ عالية

متعالية

قرآن يتلى و مآذن تتصادى

في الأفاق..و تعتز

و أنا المتصوف فيك

الغارق فيك

أنا الموقظ ريحك

المستنفر روحك

و أنا اللغز...اللغز ! (أبجديات ص 72)

تيزي وزو = الشموخ و الانتماء و الحضارة و مدينة الشاعر المتصوف الغارق في الألغا

غرداية: المكان ، الديوان ، الوطن:

غرداية هي المدينة الوحيدة التي خصها الشاعرعثمان لوصيف بديوان كامل (88 صفحة مقاس 16 ×12) فكانت غرداية هي القصيدة الديوان من جهة و القصيدة الوطن من جهة أخرى أو القصيدة المطولة "والقصيدة الطويلة هي الكشف الحقيقي في ميدان الشعر العربي الحديث بعامة والإضافة الجديدة الجديرة بمزيد من الاهتمام في وقتنا الحاضر"[27] حمل الغلاف صورة نخلة على ساقية ماء ، في أعلاها وجه امرأة جميلة، و على جانبي سعف النخيل، من الجهة اليمنى يد وفوقها شمس ومن الجهة اليسرى يد تحمل علم الجزائر، و خلف النخلة كثبان رملية ، تمازج اللون الأخضر مع اللون الأصفر.وهذا الغلاف يقدم دلالات أيقونية مرتبطة بالشاعر، فهو ابن الصحراء ، و مرتبطة بالسياق العام للنص " غرداية كجغرافيا " و مرتبطة بالمتلقي الذي يدعوه الشاعر للتأمل في العنوان(الصورة) قبل الدخول إلى النـــص و عوالمه فـــ " العنوان من خلال طبيعته المرجعية و الاحالية يتضمن غالبا أبعادا تناصية ، فهو دال إشاري و إحالي يومىء إلى تداخل النصوص وارتباطها ببعض عبر المحاورة و الاستلهام ويحدد بالتالي نوع القراءة المناسبة له .ويعلن كذلك عن قصدية المنتج أو المبدع و أهدافه الإيديولوجية و الفنية، إنه إحالة تناصية ، وتوضيح لما غمض من علامات. فهو إذا النواة المتحركة التي خاط المؤلف عليها نسيج النص، وهو من المنطلقات السيميائية المهمة "[28] فدلالة النص مشتركة بين الشاعر والمتلقي مهما كانت خلفيته المعرفية ومنطلقاته الفكرية. وهذا ما يجعل النص في تجدد دائم مع كل قراءة. أما الدلالة الثانية في النص فهي دلالة الإهداء "إلى مفدي زكريا الشاعرالذي غنى للجزائرحيا وميتا " (الديوان ص 03) والكل يعرف ما قدمه الشاعر مفدى زكريا للثورة وللجزائر، في قربه و بعده ، في سجنه و منفاه ، وما يحمله كل جزائري أصيل نحوه. و قد تشكل نص غرداية من خمسة عشر مقطعا شعريا ، كانت فيه غرداية الديـــوان و المدينة من دون كل المدن التي زارها الشاعرأوعاش بها

(طولقة) وقد ارتبطت غرداية بمجموعة من الصفات مثل كل المدن التي تشكلت منها نصوصه وهذه الصفات الدالة هي: آية لد نية، عينان صوفيتان، النمرة الآدمية، البدوية، بنت مليون جرح، حفيدة عز، الشمخة العربية، مرجانه، قرنفلة، زبرجدة، قد سية، أسطورة، موجة تتلألأ، نجمة تتبسم مغرية بالهوى، سندس، حدائق، عناقيد، نوا فير رقراقة، أباريق وهاجة، باقة من حنان، ملاك، ريحانة تتخدر نشوى، رنين العطورات عبر المدى، زيتونه رشخت جذرها في التراب ونامت، ليمونه كشفت صدرها للمرايا وهامت، ملهمتي، حورية، فله تزدهي، أغنية من جمان، عاشقة، أيقونة تتوهج، عيد الطبيعة، نكهة الرند والنار وند، حفيف الصبا، رفيف الكمان، قمر يتألق، فلقة رمانة، سقسقة السواقي، تسبيحة السنديان، طعمها زنجبيل، أنفاسها كهرمان.

وهذه الصفات صفات مدينة خيالية ، المدينة الحلم التي رسمها الشاعر و تاق للعيش في ظلها و هي لا توجد إلا في مخيلة الشاعر عثمان لوصيف. فالشاعر مسكون بالبحث عن الوطن البديل إن لم يكن هذا فذاك ، و كانت غرداية هي البديل ولو في الحلم بعدما سدت أمامه كل السبل: جئت من خارج الكون ، من سبخة ميتة ، من غيابات هاوية ، من مهب الفجيعات والعتمات، آه كل الفضاءات سدت أمامي ، فلا تبخلي... وامنحيني فضاء جديدا، و كل ظلال الدنى صدئت، فافسحي لي بعينيك هدبا و حيدا، فأنا الطائر الصب، صوفيك المتوحش، شاعرك البدوي، وفارسك المتسربل باللعنات. (الديوان ص 14 ــ 15) فغرداية مدينة الحلم الضائع الموجودة جغرافيا و المتصفة فعلا ببعض الصفات التي أشار إليها الشاعر، ترجع بالشاعر عبر الذاكرة إلى أيام الصبا الأولى ، فيستحضر الشاعر عبر تداعيات المكان و الزمان تلك الأيام: كل ما فيك يملأني بالبشارات ، و يغسلني بالأناشيد، يرجعني لصباي.. الطري ، أتذكر فردوسي المتلألئ خلف الدياجر، أتذكر غفوي في حجر أمي ، أتذكر أجنحة الضوء تخفق عابقة بالأغاريد..أحلامي الغابرات و كيف ركضت وراء العصافير، أتذكر أول بيت من الشعر نور في شفتي و أول قاتلة رشقتني بأهدابها فأنكفأت على الدار و النخلات... حن شجي.(الديوان ص 47 ــ 49) و عندما يعود الشاعر عثمان لوصيف على الحاضر الذي انطلق مـــنه لا يجد إلا الدمار والخراب لكنه لا يملك إلا أن يغني على عادة الشعراء ليرسم أملا جديدا: يا عازف النار ! ، عن و لا

تكترث ! ، ستضج أغانيك في فجوات الجماجم يوما ، ستقرأ الطير ، و الريح ، و الشجر المستهام ، و يبرعم حبك رغم الصقيع الجليدي ، يا عازف النار ! ، غن ، و غن ، وغن، برغم الحتوف ورغم السقام.(الديوان ص 55). فغرداية صورة لامرأة حلت في أمكنة جزائرية عديدة ، فأصبحت المرأة عنوانا للوطن عنده مثلما هي عند العديد من الشعراء، آه.. امرأة تتسمى فيبتهج الله ،

ثم ترددها الكائنات:

جزائر ! ، جزائر ! ، جزائر !.(الديوان ص 80 ــ 82)

لكن الشاعر لم ينه القصيدة هنا بهذا المقطع ــ بالرغم من اكتمالها دلاليا و شعريا في رأينا، لكنه أراد أن يوضح للقارىء أكثر ــ بل أضاف مقطعا أخر غابت فيه غرداية وظهر الوطن بعدة صفات و هكذا تتحول المدينة الصغرى إلى مدينة كبرى: طني امرأة تتبرج في خلل الضوء ، وطني شبق النخل يفرش أوجاعه للأغاني...، وطني قلق النار في بحثها عن فضاء ، و طني حلم يتكور في رحم الغيب...، و طني نجمة تتوهج كي تسترد براءتها..:، و طني شمخات الصنوبر...، و طني قصة المجد سطرها الدم. الديوان ص 83 ــ 88) غرداية امرأة من خلال السياقات النصية و المقاطع الشعرية التي جاءت فيها. فغرداية امرأة تحمل دلالات ايجابية و معطى نفسي هام يقربنا أكثر من النص فهي: امرأة تستحم بسحر الجنوب ، طفلة قمرية ترتدي سعفا و خلاخيل من نرجس، طفلة من بنات المعاني الخفية أقرأتني البراءات و الحب ، طفلة من ملائكة الأرض من نور عبقر من سدرة أزلية تتغنج هيفاء عملاقة ، طفلو الأبجديات و البرق و الوخزات النبية إن مشت عانقتها الأساطير و التف من حولها الطيــر و الحيوان، طفلة غزلية أربكتني بأحداقها النجل بالشنب اللؤلؤان... وبالبسمة العسلية ، طفلة قدسية مزجت في ملامحها عربا و أمازيغ ثم استوت آية لدنية آه عينان صوفيتان و وجه كوجه النبوة ينضح نورا وعذرية ، صورة أنت لامرأة امرأة شردتني بكل مكان ، امرأة تتزيا بكل الصفات وتسطع في سحر كل النساء. لو لم تكن غراية كموضوعة ــ حاضرة خلال النص لقلنا هي حبيبة الشاعر، و لم اشهد مثل هذا التوظيف و هذه الرؤيا للمكان مثلما شهدته عند الشاعر عثمان لوصيف.وقد وردت غرداية كملفوظ لغوي في النص بشكلين اثنين :

1 ــ اللفظ الاسمي الصريح تسع مرات ، و في كل مرة ترتبط بصفة ، غرداية الغار والنار ، غرداية المشتهى و الغرام ، غرداية الشعر و الصبوات ، غرداية الأمس و اليوم، غرداية الغور.. غردايتي ، غرداية القلـــــب و الروح، غرداية البدء و المنتهى.و أخيرا عنوان الديوان.

2ــ باللفظ المؤول:جنوبية من بنات الجزائر ، امرأة تستحم بسحر الجنوب ، هابط ظل واديك (مرتين) ، معبودتي في الجنوب القصي، سيدتي في الفناء ، سيدتي في الغرام ، تغفو المدينة في حجر ميزاب ، مغرم ببساتينها ، تشربت عشقك ، ألهمتني الجنون ، ثملا ببخوراتها. وإذا عدنا الى النص مجددا من خلال بنيته اللغوية وجدنا أن هناك تداخلا بين المكان و الزمان.فمن خلال عملية إحصائية و جدنا أن الفعل المضارع ورد 91 مرة (80 فعلا تعود ضمائرهاعليه و11 فعلا تعود ضمائرها عليها) فالزمن الصرفي لا يعني الشاعر عثمان لوصيف وما يعنيه و يعيشه في كل هذه الفعال هوالمضارع كزمن نحوي الذي يبقي متجددا فيه ومستمرا بداخله (يرفعني ، تغمرني، يغسلني، يرجعني، يملأني، أتوضأ ، اتفيأ ، أهدهد وأركض، أتذكر، ألهميننني، تستعيد...) أما الفعل الماضي فقد ورد 54 مرة (46 له و 8 0 لها) راحت ، مشت ، ركضت همت، دخلت.. وهذا دليل على التطلع للمستقبل و البحث عن التجدد في ظلال غرداية ، و احيانا تكون دلالة الماضي مثل الفعل المضارع (رحت أهوم ، مضيت أسأل...) أما فعل الأمر فقد ورد تسع مرات (09) دعيني ، جودي ، ردي ، عن.. أما صيغة النهي فقد وردت خمس مرات (لا تكترث ، لا تنكري ، لا تبخلي ــ02 ــ لا تحجبي.) وقد سيطرت الأنا على بنية النص الشعري، فالنص مغرق في الذاتية فهم الشاعر هو هم المدينة و على هذا كثر ضمير المتكلم المنفصل و المتصل ، إذ بلغ 133 مرة (تطهرت ، مشيت ، جئت ، ألهمتني ، أحجارها جمالك ....) هذا دون حساب الضمير المستتر في الفعل. فقد أكثر من استعمال الضمائر المتصلة عندما يتحدث عن الملكية: (فمي ، عني،جسدي...) أما الضمير المنفصل أنا الخاص به فقد بلغ 10 مرات و ثلاث مرات هي التي تتكلم (أنا الطلعة الكوكبية ، أنا الشمخة العربية ، أنا البدوية) أما الضمير المنفصل أنت فقد ورد.20 مرة ، 16 مرة بالتتابع في المقطع الرابع عشر.بل إن أنا هي أنت كما صرح الشاعر " أنت

الحقيقة ، أنت أنا " وهذا يدل على التوحد في المكان فالشاعر عثمان لوصيف هو غرداية، غرداية هي الشاعر. وكل من غرداية و الشاعر محتوى في الوطن الذي هو " الجزائر " بقي في الأخير أن نشير، أن النص شمل إشارتين تناصيتين: الأولى بيتين من نشيد شعب الجزائر مسلم للإمام عبد الحميد بن باديس :

شعب الجزائر مسلم   والى العروبة ينتسب

من قال حاد عن أصله   أوقال مات فقد كذب   ص28

أوردهما عند حديثه عن تاريخ غرداية. و الثانية لازمة إلياذة الجزائر لمفدى زكريا:

شغلنا الورى

و ملأنا الدنى

بشعر نرتله كالصلاة

تسابيحه من حنايا الجزائر ص70

خاتمة

نفاذ البصيرة و عمق الرؤيا لا تتأتى لجميع الشعراء ، وبها تتم قراءة المكان ، كتاريخ و هندسة و جغرافيا ، وبها يتم الالتحام بالمكان كموضوع شعري للإبداع و كمعبر للتعبير عما يختلج الشاعر من عواطف و مشاعر عن طريق الإسقاط تارة و عن طريق تبادل المواقع تارة أخرى. و عند ذلك تتم قراءة مرة أخرى كعنصر دال بدلالات متعددة ، إذ تتحول الأمكنة عند أغلب الشعراء إلى هواجس و هموم يحملها الشاعر نيابة عنا. و لن يكون ذلك إلا بالنسبة للشعراء الذين يسيطرون على المكان و يحتوونه. مثلما رأينا عند الشاعر عثمان لوصيف الذي تعامل بشكل متميز مع المكان الجزائري و خاصة غرداية التي خصها بديوان شعري منفرد في شكل قصيدة مطولة تميزت عن باقي نصوصه الأخرى، و هذا التميز كان نتيجة التداخل مع المكان والسيطرة عليه و تحويله على رمز شعري و فني قلما نصادفه في شعرنا الجزائري المعاصر.

الهوامش

(01) ــ عزالدين المناصرة: شهادة في شعرية الأمكنة. مجلة التبيين،الجاحظية ع01، 1990، ص 37.
(02) ــ نورالدين درويش: السفر الشاق. منشورات إبداع، مطبعة قرفي، باتنة، ط 01 ،1992، ص25.
(03) ــ إدريس بوذيبة:أحزان العشب.منشورات اتحاد الكتاب الجزائرين ، د ط ت ، ص 27
(04) ــ عبد الحميد شكيل: قصلئد متفاوتة الخطورة. منشورات آمال، الجزائر، ع 16، ط 01، 1985، ص 145ــ151
(05) ــ عمر أزراج: العودة إلى تيزي راشد.لافونيك ، د ط ت ، ص 33 ــ 42
(06) ــ عثمان حشلاف: الرمز و الدلالة.منشورات الجاحظية ،ط01 ، 2000 ، ص95.
(07) ــ ميلود خيزار: نبي الرمل.منشورات اتحاد الكتاب الجزائرين ، د ط ت ، ص 19 ــ 20.
(08) ــ يوسف وغليسي: أوجاع صفصافة في موسم الإعصار. منشورات إبداع ، مطبعة قرفي ، باتنة ، ط01 ، 1995 ، ص 94.
(09) ــ حوار مع وغليسي.جريدة الهلال ، ع 06 ، 11أكتوبر 1994 ، ص 10.
(10) ــ عبد الله الركيبي:الأوراس في الشعر العربي.ش و ن ت ، ط 01 ، 1982 ، ص 11.
(11) ــ عقاب بلخير: الدخول إلى مملكة الحرف. منشورات الجاحظية ، ط 01,1999، ص 29 ــ 30
(12) ــ أحمد شنة:طواحين العبث.مؤسسة هديل ، مطبعة هومة ، ط 01 ، 2000 ، ص 52.
(13) ــ أبو القاسم خمار:الحرف الضوء.ش و ن ت ، ط01 ، 1979 ، ص 66
(14) ــ عمر بوقرورة:الإغتراب في الشعر الإسلامي المغاربي المعاصر.رسالة دكتوراه مخطوطة ، جامعة قسنطينة 1993 ــ 1994 ، ص 253.
(15) ــ مصطفى محمد الغماري:عرس في مأتم الحجاج.ش و ن ت ، ط01 ، 1982 ص
(16) ــ نماذج من الشعر الجزائري المعاصر ج 03.منشورات آمال ، ع 13 ، ص 10 ــ 12.
(17) ــ المصدر نفسه.ص 03 ــ 07
(18) ــ يوسف وغليسي:أوجاع صفصافة في موسم الإعصار.ص 45 ــ 46.
(19) ــ عبد الله الغدامي:القصيدة و النص المضاد. المركز الثقافي العربي ،ط 01 ، 1999، ص113
(20) ــ عثمان لوصيف: لؤلؤة. دار هومة ، ط 01 ، 1997 ، ص 71.
(21) ــ عثمان لوصيف:الارهاصات.دار هومة ، ط 01 ، 1997 ، ص 61.
(22) ــ عثمان لوصيف:براءة.دار هومة ، ط 01 ، 1997 ، ص 41.
(23) ــ عبد الرحمن منيف:الكاتب و المنفى.دار الفكر الجديد ، بيروت ، ط01,1992،ص110. (24) ــ عثمان لصيف:الارهاصات.ص 32 ــ 34.
(25) ــ المصدر نفسه.ص 95 ــ 96.
(26) ــ عزالدين اسماعيل:الشعرالعربي المعاصر.المكتبة الأكاديمية القاهرة ،ط 05، 1994، ص229
(27) ــ بلقاسم دفة: السيمياء والنص الأدبي. محاضرات الملتقى الوطني الأول " السمياء والنص الأدبي، جامعة بسكرة